الحمد لله رب العالمين نحمده تعالى حمدا لا نحمده لأحد سواه ونشكره جل وعلا شكرا لا نشكره لأحد غيرَه، ونشهد أنه الله، حثَّ المؤمنين على احتراف الدعوة إليه، وجَعَلَهَا من أعظم الوظائف فقال:

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ

ونشهد أن سيدنا محمدا رسولُ الله حَبَّبَ إلينا هذا العملَ الجليلَ المتمثلَ في دعوة الغير إلى نهج سبيل الله والتخلق بأخلاق الدين فقال فيما يرويه سهلُ بن سعد رضي الله عنه:

وَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِهُدَاكَ رَجُلا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ

عباد الله، قبل أيام قليلة وفد علينا شهر رمضان ومعلوم أنه موسمٌ للبركات تكثر فيه الطاعات وينشغل الناس فيه بأنواع العبادات فتهفو نفوسهم لمختلف القربات وهذا ما يفسر إقبالهم الكبير على بيوت الله وانتعاشَ الدعوة إلى الله فيه وتنافسَ الدعاة عليها؛ إلا أن الذي يهمنا اليوم هو معنى الدعوة ومن يحق له أن يمارسِها ؟

إن الدعوة هي تقديم دينِ الله للناس في صورة جذابةٍ تُغري الناظر فيها باعتناقه والالتزام به وهي بذلك وظيفةُ كل مسلم وواجبُه، لأن المسلم الحق، بطبيعته غيرِ الأنانية، حين يذوق حلاوة الإيمان يود لو يشاطره كل الناس سعادتَه فينطلق بينهم مبشرا عسى أن يهتدوا فيكونوا مثله، لا يدفعه لذلك إلا إيمانُه بالله وابتغاءُ وجهه تماما كما كان يود الرسول ﷺ أن يهتدي

بهداه جميعُ الناس، فقال له ربه معلما إياه فقه الواقع وكيف ينبغي له أن يتصرف:

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ

فالدعوة بموجب هذه الآية يجب أن تكون بمقدار وأن تعتمد التبشير والتيسير وتنبذ كليا التنفير والتعسير فقد قال الرسولُ ﷺ لمُعَاذ وَأَبي مُوسَى حين بَعَثَهُما إِلَى الْيَمَنِ:

يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا

فلا مجال في الدعوة إذن للإكراه ولا محل فيها للإرهاب بل هي ميدان خصب لنشر المحبة وإرساء المودة بين الناس. .

وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ. وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ

وهاتان الآيتان للتذكير وردتا مباشرة بعد قوله تعالى "ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله" ثم سبحان الله أعقبهما ﷻ بقوله:

وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

وكأنه تنبيه عميق على أن الدعوة ينبغي أن تكون سببا للوحدة لا سببا في التفرق والتنافر. ولعل ذلك هو فحوى قوله ﷺ للصحابيين في الحديث السالف الذكر:

وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا

فما بال دعاة لا يحبون لغيرهم الظهور بل يرجون لهم الزوال فأين هو التطاوع يا ترى وأين هو عدم الاختلاف المأمور به فاللهم إليك المشتكى ولا حول ولا قوة إلا بك والحمد لله على كل حال.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد، فإن كنت أيها المسلم الكريم قد قررت أن تصبح من الدعاة إلى الله فاعلم أنه يتوجب عليك أولا أن تكون على بينة وعلم وافر مما تدعو إليه ثم بعد ذلك وقبل أن تشرع في مزاولة مهمتك عليك أن تجيب عن سؤالِ كيف ينبغي أن يكون منهجي في الدعوة؟ لأنه ليس من هب ودب يستطيع أن يبلغ كلام الله كما يحب الله، والجواب عن سؤالنا هذا في كتاب الله ﷻ حيث يقول تعالى:

ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

فهذا هو الشعار الذي لا حياد لك عنه فإنِ افترضنا أنك قد كُذِّبت، فاعلم أن قدوتك في مهمتك هذه ﷺ قد كُذِّب من قبلك، فطُلِبَ منه أن يرد الأمر إلى الله من غير أن يصده ذلك عن أداء وظيفته:

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ

ثم إن هناك احتمالا بأن تتعرض جسديا وماديا للأذى، فإن وقع لك ذلك فعليك بالصبر لأنك في سبيل الله ولا يليق بك أن تنسى ذلك، فإذا ما دار الزمان من قريب أو من بعيد، وكانت لك الغلبة، فلا تمدن عينيك إلى الانتقام بل كن عفوا غير ظالم:

وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ

لأن الصبر مفتاح الفرج وحين قررت سلك طريق الدعوة فإنك عاهدت الله وأخذت

على نفسك أن تخلص في جهادك فيكون هدفك الأسمى بل الوحيد الفوزُ بخيرٍ مِن حمر النعم، ألا وهو هداية الناس إلى الخير لا غير، ولا عليك بعد ذلك إن هم كادوا لك أو أرادوا أن يمكروا بك، لأنك تريد وجه اللهِ تعالى ولست ممن ينتهج أساليبهم المقيتة من كذب وزور وتشهير وتشويه مما لا يرضاه الله لك، فما عليك إلا البلاغ:

وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ

فكن إذن يا أيها الداعي إلى الله من المتقين واحرص على إتقان مهمتك والإحسان فيها، عسى أن تفوز بمعية الله لك فتكون حقا من الآمنين. اللهم اجعلنا لك ذاكرين ولِنَعْمائكَ شاكرين وعند البلاء صابرين وإذا أردت بالناس فتنة فاقبضنا إليك غير فاتنين ولا مفتونين. اللهم احفظ أمير المؤمنين بما حفظت به الذكر الحكيم واجعل كل ما يقوم به ويسعى إليه لصالح الوطن والدين. اللهم اجعل قرة عينه في الصلاة وأسعده بولي عهده وسائر أفراد أسرته وشعبه. اللهم انصر المجاهدين ممن يقاتل لإعلاء كلمة الدين، واهزِم الصهاينة والصليبيين وكلَّ من أعلن الحرب عليك يا رب العالمين. اللهم اقهر الكفار والمشركين وافضح اللهم كل من يكيد للمسلمين من المنافقين والمغرضين واجعلهم يا رب عبرة للناس أجمعين وصل اللهم وسلم على إمام المتقين والحمد لله رب العالمين.